



زمار عربي واحد ...

للساعرة الكندية هواندولين مكويين

Gwendolyn Macewin

هذه القصيدة التي ترجمتها عن الانكليزية هي للشاعرة الكندية هواندولين مكويين التي وصفها بعض النقاد بورثة الشاعر الارلندي « بيتس » . وتقوم اهمية القصيدة على انها تعكس وجهة نظر العربي السذي يزور الشرق الاوسط للمرة الاولى دون ان يعرف قليلا او كثيرا عن حوادته الدامية ، وفجأة يلسمه الجرح ويكتشف حقائق اخرى غير التي عرفها في صحف بلاده .
والبدوي الصغير الذي رآه الشاعرة يقود الخراف ما بعد بشر السبع ويعزف بلا انتظام على نايه هو في رايها المسيح المنتظر، المخلص من الحرب والدمار والتفرقة .
والقصيدة تفيض بالايمان وتؤكد في مقاطعها الاخيرة ان اولئك الذين يشكلون خطرا على الدولة المصطنعة سيصمدون الى ما لا نهاية ، وان اولئك الذين يحاولون ان يطمسوا معالم الحضارة الشرقية ، بتغيير انغامها وتحوير فنونها ، سيخفقون ، لان البدوي الصغير ما زال هناك يقود خرافه في بشر السبع ويعزف على نايه ..

(المترجمة)

لكن الجدران كانت قد تداعت
جدران يافا
ورأيت البحر
من خلال ابواب عارية عديده ،
وسدّدت الطائرات الورقيه عرضا
كأشارات باتجاه السماء
وتصايح صبية عرب عندما عثروا
على جماجم اسماك مبيضه
كألف رأس ليونس
على الشاطئ .

٣

واتمهل الآن في مشيتي نحو كفرناحوم
عبر حديقة نخل وديكه
وأنا اقرأ كتيباً
حول اعاجيب المسيح
كسلسلة من المفامرات .. وأصلي
للاعمدة الواقفة بحزن
كصفائح تعود الى ما قبل التاريخ ..
ارفع السماء دائماً ، آمين
عبر حديقة نخل وديكه
أتمهل الآن في مشيتي نحو كفرناحوم ،
ويرسم
الراهب علامة الصليب
على حاجبي المبتل بالعرق
ويقدم لي تنورة صغيرة رمادية

مع صحن مثقل بالعنب
ومرسما مزوّقا في صغد
كان غاضبا ، وراح يرسم بنزق
ليل نهار على التلال الصوفيه
ورأيت ضريحا مقاييا لرجل
يدعى ياسون نحت بفـسـزلان بلون
الكراميسلا ،
وتبعت عيني ، آلة التصوير
العدسات السائحه ، الفيلم الفضولي
الحجارة القديمة باتجاه السماء .

- ٢ -

الطائرات الورقيه .. طائرات يافا
الملونه
متعجرفه في السماء
رائحة حلوة ميته قديمه
والبحر الطاووسي
يرفعهم
والشمس المظلة الواقية اضحت
سرادق وعرشا بعيدا
ومشيت عبر بلاط زهرتي
وصدف معقّد ، وحجارة رمليه
وكل واحد
على الشاطئ في يافا
سأل عن الوقت

في زحمة الاسواق العتيقه
وبين الاثواب الداكنه
كنت بريئة كبطاقة بريديه
وبسمتي المنفيه تلمع تحت
الشمس الناقدة العابسه .
احتسيت قهوة تركيه
في المدينة المجزأه
وبدون أية سخرية
فوق ضريح أسرة هيروودس الفارق .
خربشات حب على الجدار
(أحقا ؟ ... كان هذا ملجأ بريطانيا
أيضا ؟

حسنا .. حسنا)
ورأيت قبر الحاخام عقيبته
ذاك الذي عدته امشاط روما والحديديه
ومصطبة بيضاء ، باردة ، مخروطية
دفن فيها ابن ميمون
وعليها شموع ، في سافلها وعاليها
وبلدة تدعى لفته
أكلت افواه منازلها الغروب
وعربيا ذا عينين زرقاوين
ووجه حاد الملامح يقف
امام حجر أشقر
ورأيت السماء ذات العيون الزرق
فوق مدينة القدس
وافرام الرسام المعجوز

كي تذكر ركبتى الغريبتين العاريتين
بأن هذا المكان مقدس
وأذوب انا في المشهد .

٤

صفار يقفزون بالجبل خلف القوس
الروماني
في عين كرم حيث يتدرج الضوء
على التلال ذات المصاطب
هناك قطط كثيرة . وازهار واجراس
وثمة فتاة صغيرة تحمل رغيفا
من الخبز يصل الى ركبتيهما . .
وكل الاطفال ، كلهم يأتون ويحدثون
في آلة تصويري
بالرغم من ان بعضهم يخشى
أن يقترب كثيرا .
وهناك . . خلف الصبية لافتة كتب
عليها :

هنا ولد يوحنا المعمدان
ولكأني أرى

في وجه صبي صغير نظرة تقول :
ذاك الذي يأتي بعدي
سيبارك هذا الزمان وهذا المكان !

٥

عيون العمال بهضبة راويل
مسيرة في أطرافهم
وهم يخدمون سلالات قديمة من
الحجر

من تراه يقول لهم
ان ما يجدونه في القذارة الجربة
ليفوق أجر يومهم الزهيد
(خرائب ملوك يهوذا ، وطبقات من
الموزاييك)

من تراه يقول لهم
لانهم هم التاريخ . . بينما نحن
غير الوارثين نبحت هنا
تندافع كالسحليات
في الكنيسة البيزنطية المجاورة
نخربش في كل مكان
علامات صغيرة
على الارض المقدسة
ناشدين أجربا .

٦

لتصل الى القدس لا بد ان تخترق
ضلوعا من سيارات الجيب الميتة
وأكاييل الحرب الصدئة التي تحف
الطريق

وتكتشف ان المدينة تعيش
لانها تهدمت

وتجلس في الليل بالقرب
من الحدود ذات السياج الشائكة
ولا تمر سوى القطط والعناكيب
حتى القمر مجزأ هنا

ووجها مريم والمسيح المهشمان
يرقبانك بسخرية بشعة من نوتردام
وبرج داوود

قبعة مخروطية الشكل في ضوء القمر
ومسجد عمر

فقد كان هناك منذ الازل
اذا ما نسيتك يا قدس

فلتبين ذراعي اليمنى
قدسا أخرى . .

٧

أرض لا أحد ليست سوى سقر
ومنها ينبعث ملح البياض الحواري
لببوت دون لون
لمدن ذات وجوه بيض
ذات عيون واسعة

وصفار يلعبون

بالقرب من سقر

وهم فقط يلعبون . . لكنني أظلم اسمع
طبول القرايين تدق

لتخفت صياحهم

مثلما كانوا يضغطون على أذرع مولينخ
وتحت فمه الناري

على العشب الاصفر

وتحت ظل جهنم المخيف

منتظرين السكين المقدسة

كي تريق دمهم ذا الطعمة الحلوه

٨

في شارع يافا

وفي القدس الجديده

المح شحاذا عراقيا ، أدعوه يوحنا

يتجنب العيون المتطفله

ويرقب الارض

أراه يرفض

نقود النسوة الشفوقات

وحتى دون ان يلقي نظره

لان الدراهم القذرة التي حثت كفته

تسد قوته اليومي

لكم يحتج بوقار على حالته

لكم يستدير نحوهم احيانا بعنف

لاعنا ، وعيناه تشتعلان نارا

وبزته ذات التفصيلة الامريكية العتيقه

تدلى منه كصلاه

٩

« ماذا يجب علينا ان نفعل »

قال لي الرجل

« هو ان نتركهم معا . .

وبذلك

فانهم لا يشكلون خطرا . . »

ولكنني رأيت الاشجار

تنمو بالعرض

في مرج ابن عامر ، تواجه الجاذبيه

لحاؤها قوي

ومشددود بالصبر

وأوراقها تتدافع نحو الاعلى

برقصة متباينه

ورأيت

نقودا لامعة

تعلو الجباه وكأنها تعكس

قيمة الجماجم

(احبش القوس العربي بسرعه . . .

اضفته بحجاره

أو اجعل التدوير تريبا . .

اخط

بخفة عبر الموسيقى الشرقيه . .)

وهذا

صبي بدوي صغير يقود الخراف

وقت الغروب ما بعد بير السبع

ومزمارة فوضى بين اصابعه

ورأيت الحشائش الهزيلة تحرك

رؤوسها الطرية

وسمعت الريح توقظ

الصحراء من نومها

نيويورك ترجمة سمر العطار